الشيخ محمد أبو زهرة

(ولما أخذت أشدو في طلب العلم وأنا في سن المراهقة كنت أفكر: لماذا يوجد الملوك؟ وبأي حق يستعبد الملوك الناس؟ فكان كبر العلماء عندي بمقدار عدم خضوعهم لسيطرة الخديوي الذي كان أمير مصر في ذلك الوقت)

الإمام محمد أبو زهرة

إمام الفقهاء المعاصرين والمدافع الجريء عن حقائق الدين، الفقيه الإمام العلامة العالم محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد بن عبدالله، ولد بالمحلة الكبرى عام 1316هـ/ 1898م، وجده الأكبر الشيخ مصطفى أبو زهرة الشهير بالششتاوي وله مسجد في مدينة المحلة وهو من الأولياء الصالحين.

نشأ في أسرة متدينة أحاطته بالعناية والرعاية والتوجيه الإسلامي المبكر، فالتحق في صغره بالكتاب وتعلم مبادئ القراءة والكتابة وحفظ القرآن الكريم وهو ابن التاسعة من عمره وظهرت عليه علامات الذكاء والنبوغ وحب العلم ، ويقول أبو زهرة متحدثاً عن نفسه في صباه:

(اختلطت حياتي بالحلو والمر، وابتدأت حياتي العلمية بدخول المكتب لحفظ القرآن الكريم، وكنت أشعر وأنا في المكتب بأمرين ظهرا في حياتي فيما بعد، الأمر الأول اعتزازي بفكري ونفسي ، حتى كان يقال أني طفل عنيد والأمر الثاني أن نفسي كانت تضيق من السيطرة بغير حق).

وانتقل إلى الدراسة بالجامع الأحمدي في طنطا عام 1331هـ/ 1913م ومكث به ثلاث سنوات فدرس العلوم الشرعية والعربية والإنسانية وظهر نبوغه وتفوقه حتى أن الشيخ الأحمدي الظواهري شيخ الجامع الأحمدي آنذاك قرر له مكافئة خاصه لتميزه، ثم انتقل إلى مدرسة القضاء الشرعي عام 1334هـ/ 1916م بعد أن اجتاز امتحان مسابقة كان فيه من الأوائل، وكان عميدها وناظرها محمد عاطف بركات باشا وأنشأت المدرسة لكي تعد خرجيها لتولي مناصب القضاء الشرعي والتي كان قد اقترح إنشاءها الإمام محمد عبده ونفذ الفكرة تلميذه الزعيم سعد زغلول، ومكث بها أبو زهرة تسعة أعوام قضى منها أربعة أعوام في الدراسة بالقسم الثانوي وخمسة أعوام في الدراسة

بالقسم العالي فتتلمذ فيها على يد الكثير من الشيوخ النبهاء مثل الأستاذ الإمام محمد عبده والشيخ علي الخفيف والشيخ عبدالجليل عيسي حتى حصل على عالمية القضاء الشرعي بدرجة امتياز في عام 1344هـ/ 1925م وفي أثناء دراسته قامت ثورة 1919م فكان في مقدمة الشباب الذين شاركوا في الثورة واحتك بالزعيم سعد زغلول واحبه وتعلق به ولم يترك فرصة سنحت له للقائه إلا اغتنمها وحرص على حفظ خطبة وترديدها.

والتحق بكلية دار العلوم بالقاهرة ودرس بها على يد الأستاذ الكبير عبد الحميد حسن عضو مجمع البحوث الذي كان يدرسه مادة التربية وكان يثني عليه كثيرا لحسن خلقه وحصل على معادلتها عام 1346هـ/ 1927م، ثم عمل بالتدريس بمدرسة تجهيزية دار العلوم فقام بتدريس العلوم الدينية والشريعة الإسلامية والتفسير واللغة الغربية ومن تلاميذه بها الأستاذ عمر الدسوقي والأستاذ عبد المنعم خلاف والأستاذ عبد العزيز عتيق والأستاذ سيد قطب والأستاذ علي عبد العظيم واستمر بالتدريس في المدرسة حتى انتقل للتدريس بالمدارس الثانوية العامة نظرا لإلغاء مدرسة التجهيز بالتدريج.

وفي عام 1351هـ/ 1933م بدأ التدريس بكلية اصول الدين فدرس مواد تاريخ الخطابة والجدل وتاريخ المذاهب الاعتقادية بقسم الوعظ والإرشاد وتعلم منه الدكتور عبد العظيم الغباشي عميد كلية أصول الدين والأستاذ عبد الرحمن عثمان والشيخ مصطفى الطير والشيخ محمد سليم زيدان والشيخ عبد الوهاب الساكت.

اختارته كلية الحقوق بجامعه القاهرة لتدريس مادة الخطابة بها وقام بالتدرج في المناصب فعين رئيس لقسم الشريعة ثم وكيلا للكلية واحيل إلى التقاعد في عام

1958 م ، واختير عضوًا بمجمع البحوث الإسلامية عام 1382هـ/ 1962م، وهو المجمع الذي أنشئ بديلاً عن هيئة كبار العلماء.

شغل عصره بغزارة علمه وله مؤلفات كثيرة غير البحوث والمقالات ومن أشهرها :

تاريخ المذاهب الإسلامية، الجريمة في الفقه الإسلامي، العقوبة في الفقه الإسلامي، محاضرات في النصرانية، علم أصول الفقه، زهرة التفاسير، مقارنات الاديان، خاتم النبيين، الإمام زيد حياته وعصره، الإمام الصادق حياته وعصره، الشافعي حياته وعصره، مالك حياته وعصره، أبو حنيفة حياته وعصره، ابن حنبل حياته وعصره، ابن تيمية حياته وعصره، ابن حزم حياته وعصره.

أحكام التركات والمواريث، تنظيم الإسلام للمجتمع، الولاية على النفس، الملكية ونظرية العقد، الأحوال الشخصية، شرح قانون الوصية، الخطابة، الميراث عن الجعفرية، المعجزة الكبرى- القرآن الكريم، محاضرات في الوقف، مقارنات الأديان، العلاقات الدولية في الإسلام، المجتمع الإنساني في الإسلام، التكافل الاجتماعي في الإسلام، تنظيم الأسرة وتنظيم النسل، الوحدة الإسلامية.

وعرف بجرأته وشجاعته ومقارعة الخصوم بالحجج القوية والبراهين الساطعة فكان صداعاً بالحق معتزاً بنفسه وبدينه كارهاً للاستبداد، فيقول عنه الشيخ أحمد حسن الباقوري:

(مع اختلافي في الرأي مع الإمام أبو زهرة فإنني وأنا وزيراً للأوقاف عندما استشكل على موضوع فقهي واحتجت فيه إلى الفتوي لم الجأ إلا للإمام أبو زهرة وعلى الفور يجيب لنا ومن الذاكرة على الفتوي، ذاكرا المصادر التي استند اليها و بيان أوجه الاختلاف ... وبحق كان العلم يتدفق منه).

وله مواقف صلبة ضد كل من حاول إقحام الاشتراكية في الإسلام وكان ناصحاً للحكام لا يخضع لأهوائهم وتصدى لدعاة الإلحاد والإباحية من الكتاب والصحفيين مدافعاً عن حياض الإسلام حتى وفاته في 12 أبريل سنة 1974م.

فكان إماماً في حياته وبعد مماته وتم تكريمه اذ منحه الرئيس السابق محمد حسني مبارك وسام العلوم والفنون من الطبقة الأولى خلال المؤتمر العام لعلماء المسلمين الذي عقده مجمع البحوث الإسلامية احتفالاً بالعيد الألفي للأزهر الشريف.

***